المال بين السعادة والشقاء

يحيى بن موسى الزهراني
إمام الجامع الكبير بتبوك

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونتوكل عليه، ونثني عليه الخير كله. نحمده ولا نجحده ونصلي ونسلم على خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام.. وبعد:

قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥].

امتن الله سبحانه على عباده بأن وهبهم وأعطاهم المال والأولاد ليختبرهم ويمتحنهم فيما أعطاهم؛ إما نعمة على صاحبه، وإما نقمة؛ فمن عرف حق الله تعالى في المال فسيكون هذا المال خيرًا له يوم القيامة.

ومن لم يعرف لله حقًا في المال الذي رزقه الله، فسيكون عليه وبالاً ونقمة، وسيندم حين لا ينفع الندم، فالله جل وعلا أعطى ومنَّ على عباده بالنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ومن هذه النعم نعمة المال.

وإذا فتشنا وبحثنا في هذا الزمان وهذا الوقت لا نجد قلبين مع بعضهما في إخاء تام – إلا من رحم الله – فتجد الجار في فقر شديد وحاجة ماسة ولا يلتفت إليه جاره الغني، وقد ينزل ببعض الأقارب من الكوارث والمصائب، ومع ذلك لا نرى أثرًا لذلك

القريب الغني نسي ذلك الغني أنه في دار مُهلة ودار اختبار، وكأن ذلك الغني لم ير ما حصل بجاره أو قريبه، أتدري ما السبب؟ : السبب هو ما أشغل الكثير والكثير من الناس اليوم، وهو المال، شغلهم عما عداهم وأنساهم عن كل ما سواه.

ملأ القلوب حب المال حتى لم يبق في القلوب متسع لسواه فمن أجله تستباح الأعراض، ومن أجله تراق الدماء، ومن أجله يكون الصفاء والإخاء وتكون العداوة والبغضاء، أصبح المال هو القطب الذي تدور حوله القلوب وأفعال العباد في هذا الزمان.

فالقلوب في سرور ما دام المال سالمًا ولو سبب ذلك انهيار ودمار للشرف والدين والنفوس، فالناس في تواصل ما لم يطلب المال، وإذا طلب المال فالنفوس في عداوة وبغضاء. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قال بعضهم: البخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه، ويفوته الغنى الذي يطلبه فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب حساب الأغنياء فالبخيل هو الوحيد الذي يفرح ويستبشر ورثته بمرضه وموته وتجده مستغرقًا في جمع المال بالليل والنهار لا يتعب ولا يكلُّ ولا يملُّ خوفًا من الفقر مع أن البخل هو الفقر بعينه.

فتجده يبخل بالمال حتى على نفسه وذلك خوفًا من أن يقل المال، أو يفنى وتجده أيضًا يبخل على أولاده ويقتر عليهم، فلا يعطيهم ما يكفيهم وذلك حبًا في جمع المال. قال ﷺ: «**كفى بالمرء**

إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته» [مسلم].

وقال ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»** [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة (أي عتق رقبة)، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»** [مسلم].

ما علم ذلك المسكين البخيل بماله أن المال الذي بيديه كان قبل ذلك بيد من كان قبله، ثم انتقل هذا المال جيلاً بعد جيل إلى أن وصل إليه.

فالسعيد من صرفه في مرضاة الله، والشقي من صرفه في ما يغضب الله.

فحال الناس اليوم أن أحدهم يجمع المال طوال العام حتى تأتي الإجازة فيأخذ أولاده ويسافر إلى بلاد الكفر، والفجور، والعصيان، وإلى بلاد التبرج والسفور، ذهب بأولاده ليستقي من تلك البلاد حضارتها الزائفة، ذهب ليغضب الله عز وجل ونسي أن الله تبارك وتعالى سيسأله عن هذا المال من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟.

ومن الشباب (هداهم الله) من يجمع رواتبه الشهرية ثم يذهب بها إلى تلك البلاد إنفاقه على العاهرات الزانيات، ولينفقه على الخمور والمخدرات.

فأيضًا هذا سيسأله الله عز وجل عن هذا المال من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟

فليُعِدٍ هؤلاء للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا.

أخي صاحب المال:

اعلم أنك ستتكدر إذا علمت أن هذا المال سينقل عنك في أسرع وقت، فلا تفزع ولا تتكدر ووطن نفسك وهيئها لذلك، واعلم أنك والله ميت، وموروث عنك ما جمعت رغم أنفك، وسيتمتع به الورثة من بعدك، أما أنت فسوف تسأل عن مالك هللة هللة وقرشًا قرشًا، فإن كنت جامعًا ومانعًا للمال عن الخير وطرق الخير فالنتيجة شقاء وتعاسة، تستغيث منه فلا تُغاث، وتتمنى لو كانت الدنيا بأسرها بين يديك لتفتدي بها ولكن هيهات هيهات.

فويل لمن عاش في هذه الدنيا مغرورًا، وظن أن السعادة كلها جمع الأموال وتكديسها عنده آلافًا وملايين وعمائر وأراض وبيوت وعقارات، فهذا هو الخاسر، لقد أنسى الناس حب المال عن الدين والشرف وجعلهم يتنافسون حطام هذه الدنيا.

أما علم أصحاب الأموال أن المال إذا تجاوز خدمة الدين وابتعد عنه فسيكون وبالاً ونكبة على أصحابه، يقول داود عليه السلام: «**اللهم إني أعوذ بك من جار السوء، ومن مال يكون علي عذابًا**»، ولما سئل عيسى عليه السلام عن المال قال: «**لا خير فيه**»، قيل: ولم يا نبي الله؟ قال: «**لأنه يجمع من غير حل**»، قيل: فإن جمع من حل، قال: «**لا يؤدي حقه**»، قيل: فإن أدى حقه؟ قال: «**لا يسلم صاحبه من الكبر والخيلاء**»، قيل: فإن سلم، قال: «**يشغله عن ذكر الله**»، قيل: فإن لم يشغله، قال: «**يطيل عليه الحساب يوم القيامة**».

فتأمل هذه العقبات الخمس، وقليل من يتجاوزها سالمًا، وذلك لأن الأغنياء يحاسبون على أموالهم من أين اكتسبوها وفيم أنفقوها، فاستعدوا يا أصحاب الأموال، استعدوا يا من بخلتم بأموالكم، وأعدوا لتلك الأسئلة أجوبة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، والقلب السليم هو القلب الخالي من الشرك والشر، فالمال لا ينفع في ذلك اليوم العظيم، إلا ما كان خالصًا لوجه الله سبحانه فصاحبه سيظل في ظل صدقته يوم القيامة.

ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم لنا فيهم أسوة وقدوة حسنة في الإنفاق في سبيل الله تعالى، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أجود من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون في رمضان، ولم يكن همه عليه الصلاة والسلام في هذه الدنيا جمع الأموال، بل كان زاهدًا فيها، قال ﷺ: «**حبب لي من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، ولم يتطرق عليه الصلاة والسلام للمال وجمع المال أبدًا، حيث كان يمر عليه الشهر والشهران والثلاثة ولم يوقد في بيته نار، كان الطعام هو الماء والتمر، عن جابر ﷺ قال: «ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال لا» [متفق عليه].

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ أراد أن يسبق أبا بكر ﷺ في الإنفاق في سبيل الله فأتي بنصف ماله، فسأله النبي ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم نصفه، وما لبث أن أتى أبوبكر بماله كله ووضعه في سبيل الله، فسأله النبي ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال:

أبقيت لهم الله ورسوله.

وهذا عثمان بن عفان ﷺ يقوم بتجهيز جيش العسرة، وغيرهم كثير، وكثير ممن باعوا هذه الدنيا بالآخرة، فلله در هؤلاء، قال: «**ما نقصت صدقة من مال**» [مسلم]. وقال ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربِّى أحدكم فُلوه** (المهر) **حتى تكون مثل الجبل**» [متفق عليه].

فهنيئًا لمن تاجر مع الله تعالى التجارة الرابحة، هنيئًا لمن تاجر التجارة التي لن تبور، ويا له من فوز لمن أقرض الله قرضًا حسنًا.

فليصحوا أولئك الذين لا هِمَّ لهم في هذه الدنيا إلا جمع الأموال، ولا يبالون من أي طريق كان هذه الجمع، وليعلموا أن الله استخلفهم على هذه الأموال ليرى سبحانه ماذا سيعمل أولئك الناس بهذه الأموال، فالناس فريقان في المال، إما منفق محسن، وإما بخيل مسيء.

وليتق الله أولئك الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، ولو أودها بكاملها لما بقي فقير أو مسكين أو محتاج من المسلمين بإذن الله تعالى، قال جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، ولكن بعض أصحاب الأموال نسوا أن الله هو الذي أعطاهم هذا

المال، وأن المال هو مال الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ٨-١١].

وقال ﷺ: «**واتقوا الشح، فإن الشُّح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**» [مسلم].

وليعلم أولئك أن لله حقًا في هذه الأموال التي بيد أيديهم، وليقوموا بما أوجب الله عليهم فيها، فطرق الخير كثيرة وعديدة لمن أراد ذلك، ومنها بناء المساجد والمساهمة فيها، ومساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين والأرامل واليتامى وغير ذلك من طرق الخير، قال ﷺ: «**من أتاه الله مالاً فلم يؤدِ زكاته مثل له شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوِّقه يوم القيامة يأخذ بلهزميته (يعني شدقيه) يقول أنا مالُك أنا كنزك**» [البخاري].

ثم ليتق الله من يتعامل بالرِّبا، فالرِّبا حرب لله ولرسوله، وقد عده النبي عليه الصلاة والسلام من السبع الموبقات أي المهلكات، والرِّبا محرَّم بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وصاحب الربا ملعون، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الرِّبا وموكله» [مسلم]، وزاد الترمذي وغيره: «وكاتبه وشاهديه»، وليتق الله من ينفق ماله فيما حرَّم الله من قمار، وميسر، وبيع، وشراء محرم، وغش في معاملاته.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وليتق الله من دأبوا على أكل أموال اليتامى ظلمًا وعدوانًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وليحذر أولئك الذين يتعاملون بشتى أنواع البيوع المحرَّمة والمكاسب المحرَّمة مثل: بيع الدخان، والشيشة، وبيع آلات اللهو، والطرب، وبيع أشرطة الغناء، وأشرطة الفيديو التي تدعوا إلى الرذيلة، والبعد عن الحق والدين، فكل هذه المكاسب محرمة وهي وبال على أصحابها، فإن الله إذا حرَّم شيئًا حرَّم ثمنه، وليحذر من يتعامل بالرِّشوة فقد لعن رسول الله ﷺ: «**الراشي والمرتشي والرائش**» [الترمذي وابن حبان والحاكم]، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة جسد غُذِّي بالحرام**»، فأولئك سيسألون عن هذه الأموال من أين اكتسبوها وفيم أنفقوها، فلا يغتر أولئك بهذه الحياة وما بلغوا فيها من درجات وما كسبوا فيها من أموال، فها هو قارون الطاغية أعطاه الله عزَّ وجلَّ من الكنوز ما يعجز عن حمل مفاتحه الأقوياء من الرجال، فعصى واستكبر وعاند وما عرف حق الله في هذا المال، فما كان مصيره؟ يقول الله عز وجل في سورة القصص: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

فاحذروا أيها المسلمون من المال الحرام فهو سبب للهلاك والدَّمار وعدم إجابة الدعاء، فقد ذكر النبي عليه الصلاة والسلام «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنَّا يستجاب لذلك**» [مسلم].

ومن المال المحرم أن يستدين الإنسان مالاً ثم يجحده، قال ﷺ: «**من أخذ أموال الناس يريد أدائها أدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**»، ويحسب هذا أن ما استدانه من مال ثم جحده سينفعه يوم القيامة، بل سيكون وبالاً عليه، ويدفع ويسدد ما عليه من الدين حسنات بدل النقود، فانتبهوا واحذروا وردوا الأموال التي استدنتموها إلى أهلها قبل أن يذهب قطار العمل ثم لا ينفع الندم، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**نفس المؤمن معلَّقة بديْنه حتى يُقْضى عنه**» [الترمذي وهو حسن].

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**» [مسلم].

أخي صاحب المال:

اتق الله فيما أعطاك من المال، واصرفه في وجوه الخير، وطرق البر، واعرف أنَّ لله فيها حقًا، واحذر عقاب الله، وسخطه،

وغضبه، ومقته؛ فهو سبحانه جبَّار السماوات والأرض. فهو سبحانه يمهل ولا يهمل وإذا أخذ الظالم أخذه أخذ عزيز مقتدر، فالبدار البدار بالتوبة النصوح من هذه الأموال المحرمة ومن المعاملات المحرمة قبل فوات الأوان. قال ﷺ: «**إن رجالا يتخوَّضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**» [البخاري].

ثم هنيئًا لأولئك الذين عرفوا الله عز وجل وتاجروا معه سبحانه التجارة الرابحة وأقرضوا الله القرض الحسن، فهنيئًا لهم، ويا لفوز أولئك الذين أنفقوا أموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانية لا يريدون إلاَّ الله، ويبتغون الدار الآخرة، يسألون الله الجنة ويعوذون به من النار، قال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» [متفق عليه].

هنيئًا لمن بذلوا أموالهم في سبيل الله، فكم من أرملة كادت أن تقع فريسة للأشرار وأهل الفساد والفواحش، فأتاها المال الذي ابتغي صاحبه وجه الله فعفَّت نفسها وأولادها، وكم من فقير ومسكين متعفِّف أتاه مال ذلك المنفق في سبيل الله فكفَّ يده عن السؤال، وكم من يتيم كادت أن تتخطفه أيدي العابثين، فحفظه بإذن الله مال المتاجر مع الله، فيالها من أموال ستنفع أصحابها بإذن الله في ذلك اليوم العظيم الذي غفل عنه من غفل، فليبشر من تاجر مع الله وليبشر من أنفق أمواله في سبيل الله، ليبشروا بما بشرهم الله به من الآيات الدالة على فضل البذل في سبيل الله وفضل المنفقين، قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ إلى أن قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، والآيات في ذلك كثيرة.

وقال رسول الله ﷺ: «**أنفق يا ابن آدم يُنفق عليك**» [متفق عليه].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا حسد إلاَّ في اثنتين: وذكر منها: ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**» [متفق عليه]، والأحاديث في ذلك كثيرة أيضًا.

اللهم إنا نسألك رزقًا طيبًا حلالاً، اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، اللهم أقنعنا بما رزقتنا وبارك لنا فيه، اللهم ألِّف بين قلوب المسلمين في كل مكان، اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار، اللهم وفقنا لما تحب وترضى ويسرنا للهدى ويسر الهدى لنا برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.